# بديع الزمان سعيد النورسي … إنساناً قرآنيا

# الملخص

عارف علي النايض[[1]](#endnote-2)

يعرض البحث مفهوم الإنسان‏ القرآني، إنسان‏ يستشعر ما يقرأ، فيبرمجه القرآن الكريم برمجة جديدة، ولا يتأتى الخلوص إلى هذه الرتبة ما لم يجعل تمكين مضامين القرآن من جملة ملكاته واستعداداته واستشرافه مسلكاً دائماً. فيغدو والمنهج الإلهي عند ”الإنسان‏ القرآني“ منهجاً عملياً تطبيقياً وليس تلقياً نظرياً فحسب، فهو سبيل لواقع ملموس. ارتضاه قلب المؤمن، ويرتضيه، وسيرتضيه، بتعليم القرآن الخالدة، هكذا تتشكل شخصية ”الإنسان‏ القرآني“.

ولننتقل الآن إلى ”تعدديته الكثروية الاجتماعية“. وكان الأستاذ في رسائل النور من أبرز الشخصيات العلمية التي تجلت فيها هذه المعاني، فأدى إدراكه لكلام الله المعجز والفعّال والمؤثر في الحياة، إلى حقيقة مفادها: إنّ الله تع‏ إلى نـزّل القرآن على نبينا محمد مفتاحاً لمغاليق القلوب المؤمنة ومنبعاً لماء الحياة مثل عصا موسى (عليه السلام) الذي يفلق البحر ويفجر الماء من الصخر.

الكلمات المفتاحية: النورسي، القرآن، الإنسان، الإنسان القرآني.

\* \* \*

Bediuzzaman Sa’id al-Nursi: A Man of the Qur’an

ABSTRACT

‘Arif ‘Ali al-Nayed

This search explains the concept of ”Qur'anic person“. He is a person who can feel what he reads, surrender to the Quran to the extent that he is reprogrammed by the Quran. For a person to become a Quranic person he has to uphold contents of Quran and embody them as being among his abilities, aptitudes and attitude. Thus, the divine approach turns into practical applicable approach and not merely a theoretical one. It becomes a concrete way to reality, a way that is favored and accepted by the heart of the believer.

After that, the research moves to explore Nursi's ”social pluralism“. Throughout his writings, Nursi has embodies these meanings. His deep understanding of God's miraculous, effective and life changing words, has led to the fact that God has revealed the quran to our prophet Muhammed as a key to open hearts and minds of faithful people. It is a spring of water of life, like the stick of Moses (peace be upon him), which splits sea and springs water out of rocks.

Keywords: Nursi, Quran, Human, Qur'anic person.

\* \* \*

**البحث:**

كان المتوقع مني أن أتكلم في الندوة عن تلاوة القرآن أو قراءته في الكثرة الجماعية لكن، وكما يدل عليه هذا العنوان المستغرب، أتحدث عن الكثرة الجنسية أو ”تعددية الكثرة“ عوضاً عن الكثرة، وعن ”الإنسان‏ القرآني“ Homo Qur’anikus عوضاً عن قراءة القرآن أو تلاوته.

لقد اخترت هذا العنوان العائم عن قصد. فأنا أظن أنّ الكثرة بالمعنى الحقيقي، (وهذه لا وجود لها فعلاً في أي مكان)، لا تكون فاعلة في الغالب، إذا لم يتشكل مفهوم ”تعددية الكثرة“ في قلوب الأفراد وعقولهم بدرجة عالية. فإذا أردنا أنْ نهيئ الأرضية المناسبة ”للكثرة“ بمعناها الحقيقي، فيجب أن نشجع تعددية الكثرة الاجتماعية. زيادة على هذا، أظن أن المسلم يقرأ القرآن قراءة مجردة، تشبه قراءة مثقف غربي متابع لكتاب من الكتب.

هل المطلوب من المسلم أنْ يحفظ القرآن بمعنى يستظهره في العقل. أمْ أنّ الأهم من ذلك، هو أنْ يحمله في قلبه، ويأذن له أن يغيّره إلى إنسان‏ جديد…‏ إلى إنسان‏ أسميه ”الإنسان‏ القرآني“، لأني لا أجد له اسماً أفضل من هذا ! فإذا أردنا أن نفهم نوعية مقتربات المسلم إلى القرآن بحق، فينبغي أن ندع جانباً معنى ”القراءة“ المجردة.

لنبدأ بإيضاح المقصود من ”تعددية الكثرة الاجتماعية“ (Cosmopolitiunism).

لم تعد هذه الكلمة متداولة كثيراً كما كانت متداولة في السابق. كانت الكلمة في الماضي تفيد معاني خاصة في عناوين مصنفات الفلاسفة الكبار، مثل كانط وماينك Meinecke. وأرى أنّ هذه الكلمة جديرة بالإبراز من جديد. فلنلق نظرة على المعجم الانكليزي COLLIN في مكتبتي، لنعرف ماذا يكتب امام كلمة Cosmopolitan:

1ـ اسم. الذي يعيش في دول كثيرة ويجول في دول كثيرة. الذي ينجرد من المعايير المسبقة عن الوطنية والقومية خاصة.

2ـ صفة. الاهتمام والتعلق بأرجاء ومناطق كثيرة في العالم.

3ـ مثقف أو مدني.

4ـ خليط متكون من أفراد أو عناصر قادمين من أرجاء العالم أو مناطق مختلفة فيه.

5ـ انتشار الحيوانات أو النباتات في أرجاء واسعة.

أما الأسباب التي دفعتني إلى نفض الغبار عن هذه الكلمة فهي:

1ـ تجردها عن المعايير والأحكام المسبقة عن الوطنية والقومية.

2ـ قربها من السياحة والاستنفار.

3ـ قربها من تصفية الروح بمعنى من المعاني.

هذه المتعلقات الثلاثة – كما سنرى عما قليل – تجعل الكلمة مناسبة لإيضاح معنى ”الإنسان‏ القرآني“ الذي نمر عليه سريعاً.

ونشير أيضاً إلى وجود محذورين اثنين من استعمال ”تعددية الكثرة الاجتماعية Cosmopolitanism هما:

الأول: إنّ هذه الكلمة تفيد فضاءً واحداً فقط. أما ”الإنسان‏ القرآني“ فيسيح في أجواء عديدة ومتنوّعة.

الثاني: ترتبط بالعالم المادي فقط مع الوسعة التي في مدلولها. أما ”الإنسان‏ القرآني“ ، فاهتمامه بالعالم الأخروي أيضاً، بل حتى بالذات الإلهية.

لأوضح الآن معنى ”الإنسان‏ القرآني“:

”الإنسان‏ القرآني“ مؤمن إيماناً يقينياً بأنّ القرآن كلام الله وعازم على الحياة وفاقاً لأوامره. يسعى لحمل القرآن في قلبه كل لحظة من لحظات حياته، ويجدّ في صياغة شخصيته بمعايير القرآن إلى حد التطابق.

”الإنسان‏ القرآني“، يحس بالفارق بين القرآن وسائر الكتب العادية كالفرق بين الذات الالهية والمخلوقات العادية. يوقر ويحترم القرآن كأنه يتلقى كلام الله حساً ومعنى. فهو يؤمن به: إنّه كلام عليم يحيط علمه الأزل والأبد. كلامه اللدني العالم الأزلي الأبدي. وهو رسالة الله الرحمن الرحيم تناديه في الزمن الحاضر. يصغي إلى القرآن من أوله إلى ‏‏آخره خطاباً موجهاً إليه بشخصه من خالقه.

”الإنسان‏ القرآني“ يرى القرآن هبة وهبه الله له بلا مقابل، إلا الشكر والاستقامة في حياته كلها.

”الإنسان‏ القرآني“، يعلم أنّ القرآن يؤسس حكماً في وجوده مثله كمثل الإنسان‏ الذي يحيل الجدر الصماء إلى سكن ومأوى. ويعلم أنّ قلبه وعقله وكيانه كله خراب وبناء مهجور وجدران تصير انقاضاً لا محالة. يعلم ذلك حقاً، لأن الرسول الحبيب علـّمه. ويعلم ذلك حقاً، لأنّه جرّب وتحقّق بنفسه أنّ شبابه يتجدد بإحياء معاني القرآن في ذاته كلما تلاه، ويتلاشى إذا هجره. إنّه بالعيش بالقرآن وللقرآن يشغل قلبه، ويجعله ساكناً لجوانبه، ومستقراً بين وجدانه.

”الإنسان‏ القرآني“ لا يقرأ القرآن كما يقرأ الكتب العادية التي تحرك عقله، ولا كما يقرأ ديوان شعر. بل يتلوه تلاوة مؤدياً حق التلاوة. والتلاوة كلمة تجمع معاني العبادة والأداء الديني، يتهيأ لها في صفاء كما يتهيأ للصلاة، ويتوجه فيها قاعداً أو قائماً إلى الكعبة الشريفة قبلة المسلمين. فالتلاوة مثل العبادات الأخرى. نية وتوجه ‏إلى القبلة بآدابها.

”الإنسان‏ القرآني“ يتلو القرآن بقلبه، لا بعقله، لكنه لا يُبْعِد العقل عن فهمه. هو عقل حاصل من فعل قلبي، وليس بذهن رياضي. قلبه مركز لوجوده كله، المادي والروحي. إنّه يتلو القرآن الذي يبعث الحياة في بدنه وروحه، بقلب ينبض في وجوده كله.

”الإنسان‏ القرآني“ يتلو القرآن آية فآية، وسورة فسورة، كما حفظه حفاظ السلف الأوّل، وينقله كما نـزل إلى الخلف، يستسلم قلبه للقرآن كاستسلام لوح الخشب للنجار. فهو يسلم قلبه للقرآن ليصوره ويبدله كيفما يشاء حتى يصير قلبه القرآن.

”الإنسان‏ القرآني“ يهب قلبه بإخلاص للهدي الإلهي وسبب النجاة، ولا يستغل القرآن وسيلة لمآربه وأطماعه البتة. ويعلم أن الله وهبه عقلاً وسخر له وسائل ليتغلب على مشاكله، ولا يفكر بالقرآن كمستودع يختزن حلولاً سحرية أو رفوفاً تصطف فوقها وصفات جاهزة. مع ذلك، هو يحد شخصيته وإنسانيته بحد القرآن حتى يغدو خُلُقه القرآن، فيكون حلّه للمعضلات حلاً قرآنياً.

فكل حركات ”الإنسان‏ القرآني“ وسكناته قرآنية.

والمنهج الإلهي عند ”الإنسان‏ القرآني“ ليس تلقياً نظرياً، بل سبيلا لواقع ملموس. وشريعته ليست بناء خارج القرآن، بل مجموعة التصرفات الواقعية التي ارتضاها قلب المؤمن، ويرتضيها، وسيرتضيها، بتعليم القرآن الخالدة.

هكذا تتشكل شخصية ”الإنسان‏ القرآني“.

ولننتقل الآن إلى‏‏ ”تعدديته الكثروية الاجتماعية“. ينبغي الآن امتزاج ”تعددية الكثرة الاجتماعية“ ”بالإنسان‏ القرآني“ وهي غريبة عليه بمعناها الحقيقي. لأن ”الإنسان‏ القرآني“ غريب متمرس ومحترف للغربة. فهو مسافر في درب الحياة يسير على هدي النبي . ويعرف أن سبيل الإسلام غريب متفرّد عن السبل الأخرى. وقد قال الرسول الحبيب : ”بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ“[[2]](#endnote-3) والإنسان‏ القرآني يرى في القرآن أهم مصدر للغربة فهذه الآيات التي هي كلام الله، يتلوها مرة تلو الأخرى، فتعمل في قلبه كمبضع الجراح، فتصدّه عن كلّ ما في الدنيا، وتوجّه وجهه إلى الموجود الواحد الأحد المطلق.

وحين يتلو القرآن كل يوم، فيلقن ”الإنسان‏ القرآني“ ﴿إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾البقرة:156

…إنا إليه راجعون في كل وقت من الزمان، وفي كل لحظة، وفي كل نفس.. لا في يوم من الأيام. القرآن يقود الإنسان‏ إلى ربه دائماً، بل يدفعه إليه تع‏ إلى ‏‏. ولذلك، لا يعد ”الإنسان‏ القرآني“ أرضاً لا يذكر فيه الله وطنا له. ولا يشتاق إلى شيء، كاشتياقه لقرب مولاه والنظر إلى جماله. وهذا ما يجعله غريباً. لأنه مسافر لا يَمَلُّ المسير بقصد الوصول إلى مولاه. إنّ كل صفحة من القرآن تقود سالك سبيله الذي يتلوه إلى الخالق. والإسلام في القرآن هو ”الصراط المستقيم“، الذي يتبعه المؤمنون فيهتدون إلى سواء السبيل ويحيد عنه الضالون فيتيهون ويقعون في سواء الجحيم.

وتعزز قصص الأنبياء السائحين في القرآن حال الاستغفار الدائم، وخاصة إن كانت هذه السياحة مستمرة. فموسى عليه السلام سائح في فتوته، وكلمه الله تعالى‏ وهو سائح، ورجع إلى مصر سائحاً لينذر بني إسرائيل. وإبراهيم عليه السلام اعتزل قومه وأباه للعبادة بعد أن كذبوه **﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾.الصافات:99** وإسماعيل عليه السلام فتح عينيه في الغربة، ثم صارت تلك البلاد الموحشة بعد زمن ”مكة“.

وتتعزّز في القرآن سياحة الأنبياء بهجرة النبي من مكة إلى المدينة المنورة. وفي ابتداء تقويم المسلمين بالهجرة عبرة ! ولا شك في توطن النبي . لكن تدقيق سيرته يدل على أنّه لم يقعد سنة كاملة في المدينة على وجه الدوام والاستمرار. وحتى حين إقامته، فقد كان سائحاً في الوصول إلى معرفة الله وتحقق قلبه بتلك المعاني!

وقارئ القرآن إذْ ينتقل في تلاوته من آية إلى ‏التالية لها، وإذ تنفذ معانيها في قلبه آية فآية، يعيش تماماً في سياحات أنبياء الله. ولا يكتفي بالحياة في تلك السياحات، بل يعي الحالة الروحية الغائرة والمستعصية على التعريف في هذه السياحات. إن التجربة الحركية والاستنفار والتحفز الدائم للسفر والسياحة الروحية، عنصر مهم في تكوين ”الإنسان‏ القرآني“. هذه السياحات تجعل ”الإنسان‏ القرآني“ تعددي الكثرة الاجتماعية (Cosmopolitanism) القرآن يسيح به من مكان إلى مكان، إلى أجواء يتنفس فيها. المهم هنا أنّ القرآن يهبه الاعتياد على التهيؤ الدائم للسفر.

لكن في سياحات ”الإنسان‏ القرآني“ شيء عجيب …هو أنّه لا يدع نفسه لشيء إلاّ لله تعالى‏‏، ولا يرجع إلا إلى الله تعالى. فهو يهتدي بالله ويرجع إليه كالسائر في ليلة صيف صافية ينيرها بدر وضّاء. يمكنك أنْ تتّجه شرقاً أو غرباً، ﴿وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾.البقرة:115 ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾.البقرة:115 نور الله تعالى يهديه دائماً إلى سواء السبيل **﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ**﴾.النور:35

القرآن يقول للإنسان‏ : **﴿إِنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾**التوبة:116 وله أن يسيح فيها كما يشاء، على أن يتعلق قلبه بالله دائما.

”والإنسان‏ القرآني“ قادر على أن يتعلّق قلبياً بالله في كل سياحة خارجية وداخلية، لأنّه يلحظ في الكثرة والزحام تجليات أسماء الله تعالى‏‏. وحتى القرآن هو تجل من تجليات صفات الله سبحانه واسمائه الحسنى. فهو يعلم بتجلياتها التغير والتحول في كل صفحة من صفحاته.

القرآن يعلّم ”الإنسان‏ القرآني“ بأنّ الجبال والسموات والدنيا آيات لله سبحانه. ويعلّمه كيف يرى آياته في تغير الكائنات وتوسعها. ويعلّمه أنّ الكتب المنـزّله على أنبياء الله آيات لله. القرآن يعلّم ”الإنسان‏ القرآني“ قدرة الله في تحول عصا موسى بأمر الله تعالى إلى ثعبان مبين وحيَّة تسعى، وفلق البحر به.

”الإنسان‏ القرآني“ يرى تصرف الله في كلّ شيء فيستحضر وجوده (سبحانه) دائماً.

ومثلما يجعل القرآن ”الإنسان‏ القرآني“ يرى آيات الله وتجليات أسمائه وصفاته في العالم الخارجي، فهو يجعله في نقلة متقدمة أخرى – يرى آياته وتجلياتها في نفسه ودنياه وروحه ووجوده بشغف واستكشاف. فتغدو الدنيا وروحه ميدانين رحبين للتجليات، وهو يتطلع إلى هذه الآيات اللانهائية، ”باناروما عظيمة“.

”الإنسان‏ القرآني“ يستشعر بالقرآن النعم الجليلة لهذا التنوع. يعيش فعلاً العناية الإلهية التي وهبت له هذه الأنواع والألوان المختلفة من النخيل والأعناب والسحاب والجبال… وحتى الإنسان‏. وهو إذْ يرى العناية الإلهية في الأشياء والإنسان‏ ويستشعر الإحسان الإلهي في هذا الاختلاف والتنوع، ينظر إلى الكائنات باحترام ويحتضها ويضمها إلى صدره.

ثم إنّ“ الإنسان‏ القرآني“ يتعلّم من القرآن أنّ التنوّع الإنساني هبة وإحسان أيضاً، وإنْ أدّى به إلى النـزاعات والاضطرابات القائمة. فهذه إرادة الله. ويتعلّم التوكّل في خضوع لحكمة الله في التنازع والتدافع المحتمل والدائم بيننا -نحن البشر- ويفهم أنّ الإرادة المطلقة لله، ويعتمد على مشيئته وعدله. ﴿إلى ‏‏ٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**﴾**...الأنعام:164 هذا هو الدرس المتكرر من القرآن.

”الإنسان‏ القرآني“ ينظم حياته بتفاصيلها إلى نهاية رحلته فيها بالقرآن. وقد تواجهه معضلات محتملة لا حل لها في هذه الدنيا، وتبقى كذلك إلى أن يوسّد في الترب. فيترك الحكم فيها إلى الآخرة. فإنّ من الاختلافات والتنازع مالا حلّ له إلى أن يحكم الله تعالى فيها في المحكمة الكبرى.

إن اعتماد ”الإنسان‏ القرآني“ على حكمة الله تعالى يريحه في هذه الدنيا. وتلك راحة تجعله واثقاً مطمئناً. وليست الثقة هذه نابعة من الكبر أو الاعتماد على النفس، بل من الإيمان والتواضع.

فلا يزال ”الإنسان‏ القرآني“ ينضج بالخصال القرآنية حتى يغدو مستقيماً ”وتَعَدُدِيَ الكثرة الاجتماعية“

هذا هو ”الإنسان‏ القرآني“ الذي ظهر على مدى التاريخ في كل مكان مسلماً مسؤولاً عن ثقافة وتراث عظيم محوره معرفة الله تعالى وتمثّل أوامره ونواهيه. هؤلاء هم المسلمون الذين منحوا الإنسانية الحضارة الإسلامية بشعرها وفنها وآدابها وحكمتها.

”الإنسان‏ القرآني“ يتمثل في المسلمين الذين أحاطوا علماً بالاختلاف بينهم وبين الأديان والمذاهب الأخرى ومحّصوا آراءهم بصبر عجيب، لأنّهم يعلمون بأنّ في كل ذلك آيات لله تعالى ‏‏. ونجد في علماء السلف الصالح نماذج كثيرة، نفتقدها في عصرنا الحاضر. فواقعنا المعاصر لا يسرّ الناظرين، ويجعل من ظهور نماذج ”الإنسان‏ القرآني“ ضروريا.

إنّ عملية حصر الإسلام بالحدود القومية والجغرافية، جاءت بتأثر كثير من المسلمين بالقوميين الأوربيين أو بالنظريات اليسارية. مما جعل الإسلام واقعًا تحت وطأة هذه المؤثرات الأيديولوجية الدنيوية والانتماء القومي. لقد دفع انقطاع المسلمين عن الدنيا في القرون 17، 18، 19، وتفوّق العالم الغربي مادياً، والنتائج المرة من التحام هذين السببين، فأثّر سلبًا على صورة الإسلام في العالم، فعرض الإسلام بشكل يعكس صورته المستلفة من مرآة المدرسة التجريبية الغربية. ونرى من الضروري أنْ يتوقف هذا النوع من العرض إذا أردنا أنْ نعرف حقيقته إذا أردنا ”للإنسان‏ القرآني“ أن يستمر حياً.

إنّ أنموذج ”الإنسان‏ القرآني“ المزيف، يصدُّ عن تلاوة القرآن كلاماً لله تعالى ‏‏. فقد صار المسلمون في هذه المرحلة المؤسفة يقرأون القرآن كمحتويات ومفاهيم متأثرين كثيراً بالمناهج الغربية. فتخلف من ذلك نوعٌ من الاقتراب إلى القرآن بمنظور ”يعتمد على المفاهيم“ التجريبية“، ويستند على استخدامه وسيلة للمشاريع والرغبات الإنسانية. ونجد اليوم زمرة متخصصة تقوم بمثل هذه المناورات مع القرآن، تراهم يتكلمون باسم القرآن، فيخدعون البسطاء من المسلمين وغير المسلمين ويقودون المسلمين إلى ‏‏الهاوية.

إنّ لانحسار أنموذج ”الإنسان‏ القرآني“ سبب آخر يتعلق بخصلة ذاتية فيه. فكما مرّ فيما سبق، يمتلك ”الإنسان‏ القرآني“ صفة غريبة، أعاقته عن محاولات ”التمازج“ المطالب به بشدة فيما يسمى ”بالمجتمع التعددي“.

إنّ ”الإنسان‏ القرآني“ هو الميل إلى طلب حياة وعالم يقودهما القرآن. وهذا ما لا يتوافق مع ما يسمى ”بالمجتمع التعددي“ في عصر الفضاء‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍. فكثير من مثل هذه المجتمعات دعت ”الإنسان‏ القرآني“ إلى ترك ”غربته“ وطلبوا منه ألاّ يفسد عليهم حياتهم التي ارتضوها. وإذا استجاب أنموذج ”الإنسان‏ القرآني“ لهذا الطلب وامتزج مع تلك المجتمعات، فقد أضاع خصائصه النوعية تماماً، أو تعرّض إلى تشوه شديد على أقلّ تقدير. أما الذين رفضوا الاستجابة، فقد هاجروا إلى مواضع يجدون فيها عونا أو إلى مواقع أقلُّ عدوانية وهجوماً.

إنّ ”الإنسان‏ القرآني“ تعددي في جوهره، بمقدوره أن يعيش في كل أرجاء الأرض أو أن يلقى قبولاً حيثما وجد. لأنه يحمل حياته ودنياه العملية في قلبه. ومع وجود مشاكل كثيرة يتعرض لها ”الإنسان‏ القرآني“، يبقى هو الأسبق في المضمار فلا يدانيه ما يسمى ”بالمجتمع التعددي“ ولا ”نماذج ”الإنسان‏ القرآني“ المزيفة.

يقرر علماء الإنسانيات والفلاسفة أن الإنسان‏ نوع عاقل، وقادر على التمييز والتعلم والإدراك والتفكير. أما أنا فأقول بوجود نوع آخر هو ما يمكن أن نسميه ” الإنسان‏ القرآني“. وأردت أن أُشَكِّلَ إطاراً لهذا ”الإنسان‏ القرآني“. هذا الإطار ليس ابتكاراً من عندي، بل هو شيء ورثناه من موروثاتنا وتقاليدنا العظيمة.

عائشة رضي الله عنها تعرّف الرسول الحبيب فتقول: (كان خلقه القرآن)[[3]](#endnote-4) فتقيّم خلق الرسول على الأخلاق القرآنية. وأيضاً هو من موروثات وآثار المربين العظام مثل الآجوري والمكي والمحاسبي والغزالي .

القرآن ليس تشريعاً إنسانياً وضعياً، بل سبيلاً محسوساً للوجود. والبناء القائم حسب المدلولات القرآنية ليس قولاً قرآنياً فحسب، بل حركات ملموسة للإنسان‏ الذي تشكّل قلبه بالقرآن وحده، ولا يزال يتشكّل به، وسيستمر في التشكل كذلك. هكذا هي العمومية في أخلاق ”الإنسان‏ القرآني“.

و‏إلى هنا رسمنا صورة ”الإنسان‏ القرآني“ بخطوط عريضة. ونريد من هنا أن نعرج على بديع الزمان الذي يشكل ”باراديغما“ للإنسان‏ القرآني في هذا العصر.

يبين بديع الزمان في مصنفه الموسوم بالمثنوي العربي النوري أن مجدد الألف الثاني الإمام الرباني نصحه نصحاً غيبياً في كتابه (المكتوبات):

أنْ ”وحّد القبلة“ و ”اتبع استاذاً واحداً“، فالتزم بنصحه، وفهم من ذلك النصح أنّه يريد أنْ يجعل من القرآن أستاذاً وحيداً له. ”لأن القرآن هو الأستاذ الحقيقي وتوحيد القبلة يكون بهذا الأستاذ“ .

إنّ هذا التمركز الخاص على إرشادية وأستاذية القرآن، هو مفتاح لفهم النورسي إنساناً قرآنياً.

ومن المهم أيضاً أنْ نعرف أنّ اقتراب بديع الزمان إلى القرآن باعتباره مرشداً، ليس اقترابًا عادياً كاقترابه من النصوص الأخرى. فهو يؤكد في مقتربه على القرآن كلاماً لله تعالى خالق الموجودات كلها.

ويذكر في مكان آخر من المثنوي العربي النوري أنّ قوّة النص وعلّوه يتعلق بالقائل والمصدر فلا ينبغي الاقتراب من كلام الخالق بصفة الاقتراب من كلام المخلوق. فيكرر كثيراً القول المشهور في تراثنا ”الفرق بين القرآن والكتب الأخرى، كالفرق بين الخالق والمخلوق“ ولذلك يؤكد الغزالي في فصل آداب تلاوة القرآن في كتابه ”الإحياء“ على إدراك من يخاطبك عند تلاوة القرآن واستحضار أنّ المتكلم هو الله تعالى‏‏.

لقد أدى إدراك سعيد النورسي لكلام الله المعجز والفعّال والمؤثر في الحياة، إلى حقيقة مفادها: إنّ الله تعالى‏‏ نـزّل القرآن على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مفتاحاً لمغاليق القلوب المؤمنة ومنبعاً لماء الحياة مثل عصا موسى (عليه السلام) الذي يفلق البحر ويفجر الماء من الصخر.

فهذه النعمة المتمثلة في فعالية التغيير القرآنية منبع لا مثيل له لبعث الحياة، على خلاف الجهد غير المجدي للفلسفة الباحثة عبثاً عن نظام وضعي مثالي يقيمه الفكر البشري.

ولا يحصر بديع الزمان هذا التأثير الفعّال للقرآن الكريم على فتق القلوب المتحجرة فقط، بل يراه متعدياً لصورة عجيبة إلى محو الكثافة الزائفة للدنيا الخادعة. فلا يسمح -كما ذكر في المثنوي العربي النوري- للدنيا أن تبقى حاجزاً جامداً بيننا وبين الحق سبحانه وتعالى‏‏، بل يريد أن يبعثرها شذر مذر بقدرة القرآن. بمعنى آخر أن بديع الزمان يرى أن القرآن يكسر حاضر الدنيا ويظهر للبشرية الحقيقة التي وراءها حتى يبدو الحق حقاً.

فما المنهج والوسيلة التي وجدها سعيد النورسي للحصول على هذه القوة الفعاّلة للقرآن الكريم في تحطيم حاجز الدنيا؟

الجواب في هذا الدعاء الصافي والقصير:

”فيا ربي ويا خالقي ويا مالكي!

حجتي عند ندائي حاجتي.

وعدتي عند دعائي فاقتي.

ووسيلتي انقطاع حيلتي.

وكنـزي عجزي.

ورأس مالي آمالي وآلامي.

وشفيعي حبيبك ورحمتك.

فاعف عني واغفر لي وارحمني يا الله، يارحمــن، يارحيم“.[[4]](#endnote-5)

1. ولد في ليبيا / بنغازي سنة 1962 وأنهى دراسته في هندسة البيولوجيا. حصل على الماجستير والدكتواره في فلسفة العلوم من جامعة غلوف بكندا. حالياً أستاذ في المعهد السياسي للأبحاث العربية والإسلامية في روما. ألقى محاضرات عن الفلسفة وفلسفة الاسلام والشريعة والتصوف في جامعات ايطاليا وماليزيا وشارك في مؤتمرات للعلاقات الاسلامية-المسيحية. يتقن العربية والإنكليزية والإيطالية ويلم بالفرنسية والإسبانية والألمانية. متزوج وله ولدان. [↑](#endnote-ref-2)
2. أخرجه مسلم، حديث: 145، وأخرجه ابن ماجه في ”كتاب الفتن“، ”باب بدأ الإسلام غريباً“ حديث: 3986. [↑](#endnote-ref-3)
3. صحيح مسلم، حديث: 1773. [↑](#endnote-ref-4)
4. المثنوي العربي النوري ص 159. [↑](#endnote-ref-5)